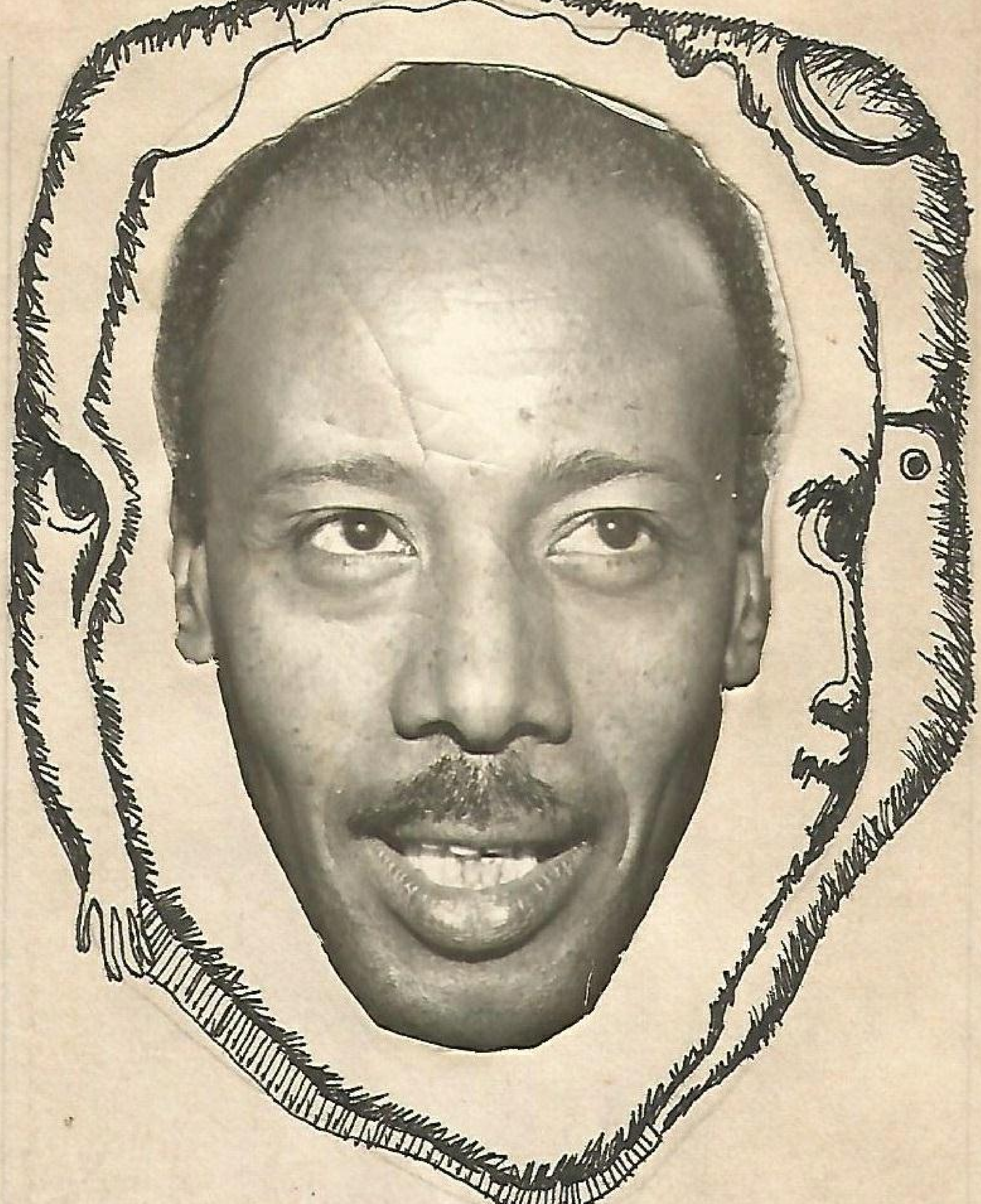

الموت يوقظ ساحة الفقراء

مرثية ليست للبكاء

سمير عبد الباقي

شتاء لن يشاركنا طعاما...

هذا شتاء بائسٌ يبدو عليه ..
صباحه عكرٌ .. مرير
وماؤه بالحزن صار مجمعةً
والفرح فيه كنوبةِ الحمّى .. قصير ..

الموت دون ضيافة في ساحة الفقراء :
- يا أيها الفقراءُ
هل لي من منازل
إني ملكتُ الأرض والدنيا
وخلاصة الكلام
ما كنتُ آلي نجاةً
لكنني كالريح أقبلُ .. كالوباء
كعلامة الحقد التي بقيت -
بذاكرة الفراعنة الأواخر
والأوائل ..
الموت عضّ على نواجذه وصاح :
- هل من مقاتل
إني رأيتُ رؤوساً في القرى نضجت
آن الحصاد فطلّي منجلَ الغدرِ !

المدن أسفر عن هويته سفور القادرين
وراح يوغل في التجنّي
ويحط من قدر القرى
ويشيد صفّ الكادحين
نشر البنود الزائفات على الصواري
ومضى يجوسُ خلال أسوار المدينة
والدروب الجائعات مفاخراً بين الجنود ..

- هذي تباشير القتال -
- وتلكَ قارعة الوعود -

أو سوف نمضغ حسرة الموتى
ببائسة الحواري
ونبيت نبحثُ عن تعاويذٍ لتهدئة القلوب
وصكوكُ غفران لتبرئةً الجناة ..
ونفر رعباً من منازلة الرعود
نفرُّ من هول الحياه
أم سوف نصعدُ ما وراء مواكب الموتى
وظل المخبرين ..؟
وجريمة الحزن المطارد
عبر سيناء إلى عمق الصعيد !؟

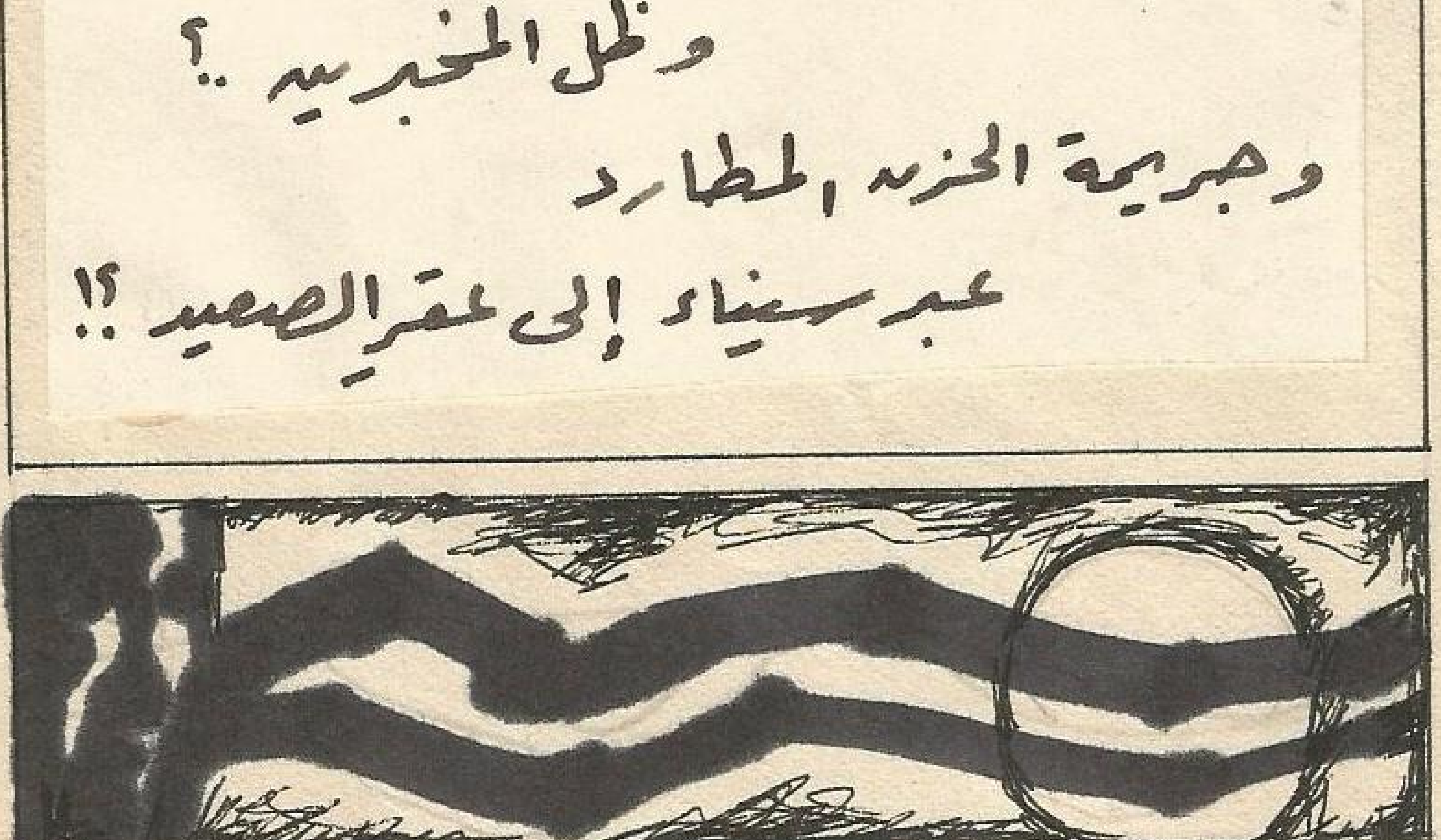

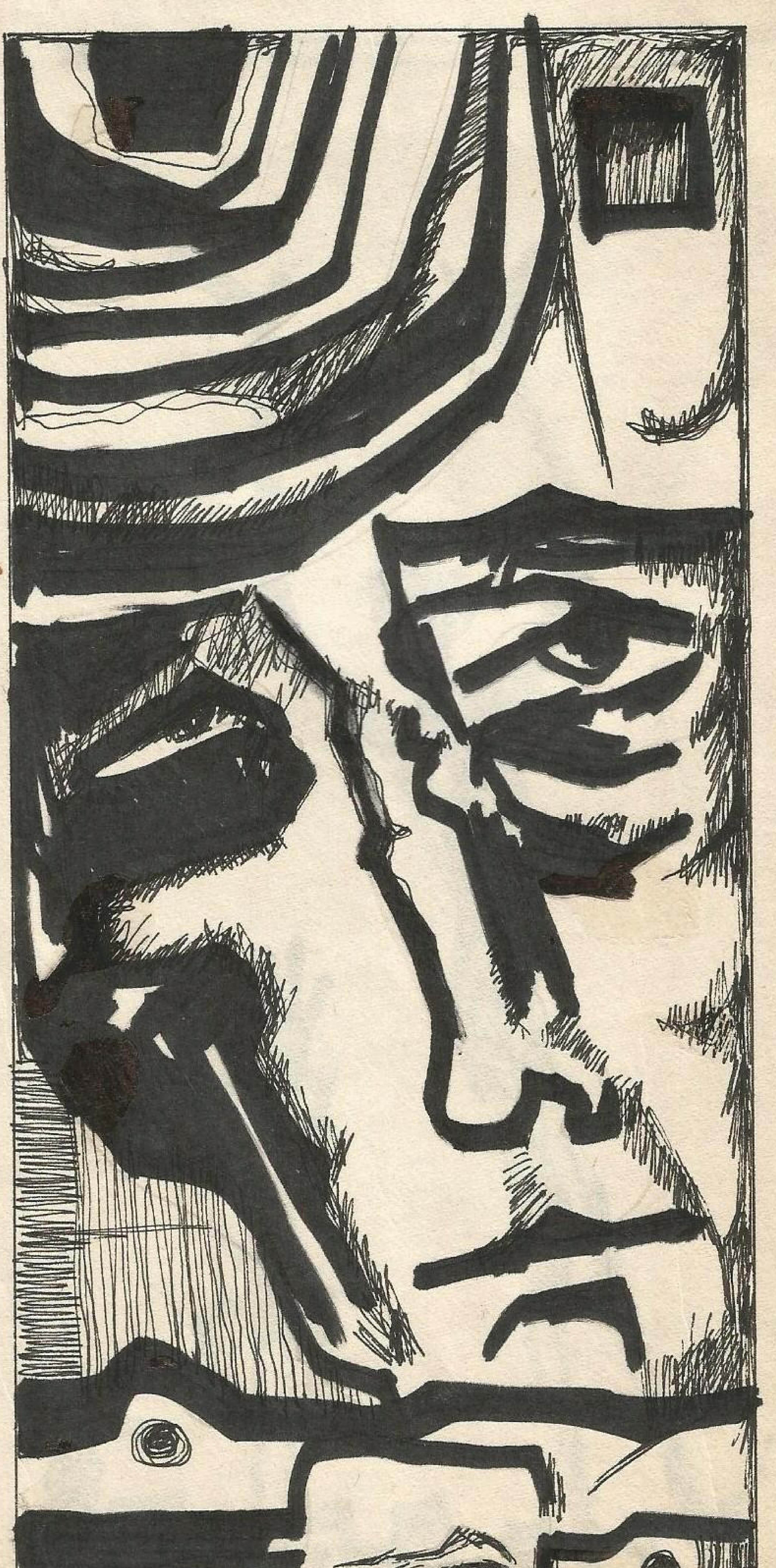

معكم أعيش لآخر الأنفاس

هذا شتاء بائسٌ - عيني عليه
الفرح فيه كلمحة الذكرى
كذاكرة الضرير..!
والحزن يولد جثة الفقراء أطفالا
كوجه الزمهرير..

هنا..
وأنت مضيت تستدعي المطر
ليبارك الفرح المقاتل في الدروب
فأخذت تشعلُ عند أطراف المدينة
والقرى - نارا
وتجمع من حقول الكادحين
جذور ما زرعوا وما صنعوا
لتصبح شمسهم دفءا وأُغنية
تقود الحلم عبر متاهة الليل الكئيب..

- لكنه العالم الرهيب -
- وأنت قريباً إليه -

....

فكرت في أطفالك الأحباب
أم فكرت فينا
وذكرت ما قد عودتك عليه رحلتنا
وأزمتنا سنينا
أم كنت ترحل خلف ذاكرة الوطن
وتلون الدنيا بأحلام صغيره ؟!

- آآه ...
هذى المدينة تنكر الأبناء - لكن
لست أكرهها

أحببتهم أبدا ..
وكاد البعض يكرهني ..
ولكني أسامح إن
تمتد أيديهم لأيدينا

....

- أو هذه الأشجار أذكرها ..؟
أظن ..
تتشابه الأشجار في كل الأغاني
من واحة المنفى -
إلى الجرن الذي صارحت فيه الناس

بالحب الذى أثقل قلبى
وأنا بعد صغير ..

....

- آه ...

هنالك طفلة عبر الطريق
وطفلة بالبيت
والجرح مازال بسيطا

....

ولكم وددت من زمان أن أكون شاعرا
ذوبت نفسى فى مياه النيل
عاشقا .. وساحرا!

....

- شكلت من طين الحقول عرائسا
خمرية الملامح
ثم انطلقت فى حدائق الزمان
والمكان طائرا مهاجرا!

وكان قول الشعر فى حبك يامصر
جريمه
فغزلت من قضبان سجنى
ما قد وعدتك من قصائد ..
وعبرت نحوك كل تلك البيد -
أروى غُلّة للحب صادية
لكننى أبصرت نهرك فى يد الأعداء

مرتعشة الضفاف
مكبلَ الكفين .. معتكرَ الوجوه ..
.....
- وكان أن أسلم أن أعود !
....
- أكان أن أسلم أن أعود ..؟!
حقيقة !!
لكنني حمّلت بالأمل الشقي مراكبي
حملتها أمنية مصرية الدماء والجوانح
وخلقت منها أحرفاً عربية
لترنيه الطبل في الفرح النقيد ..
.....
- خضّضت في مجاهل المدائن المجرده
طرقت فوقه صلب أضلع المصانع
.. والمزارع بالأغاني الجيده
حدثتها عن كل ما أثقل عمري
حدثتها
حدثتني عن متاعبها وأصبحنا أحبّه !
.....
- هذه العربات ترهقني
وتسلبني دمائي ..!
.....

- ما أجمل الأزهار حتى في المقابر
أي حزن
سوف أتركه ورائي ..!

....

- أنا ما نكرت هويتي أبدا!
وما أنكرت ديني ..
وزرعت في كل الحقول بشارتي
وقرأت فوق مقابر التاريخ أشعاري
دخلت مدائن اليأس المدججة السلاح
تزهو بكفي راية حمراء
واضحة المعالم
والملامح .. لا تنكسر لرياح

....

- ولقد هزمت مرة
ويئست مرة
وتخلف الأصحاب عني ذات يوم
حين كان الموت يرصدني
ولكني نجوت
كسر الأعداء سيفي مرتين
وما كبوت
وراح (البعض الناس) يبتكرون أعذارا
لتنكيس الرماح

غاصت حوافر
ولقد غفوت ..
وطال ليل اليأس - لكنني عبرت
غاصت حوافر خيلي الحمقاء
في الرمل المراوغ
فارتميت ..
لكنني رغم التباعد و المجاهدة العقيمه
والعطش
لوحت نحو الشمس -
فانتبهت إلى ظلي القوافل ..
مازلت حتى الآن رغم الموت .. أقبل
فانظروني ..
شامخا أقبل من كل المداخل
انظروني
إن هاجرت خوف المواجهة البلابل
إنني أبدا أعود ولا أهاجر
فاعذروني
إن لي تحت مياه النهر دارا
ونخيلا وبيادر !!

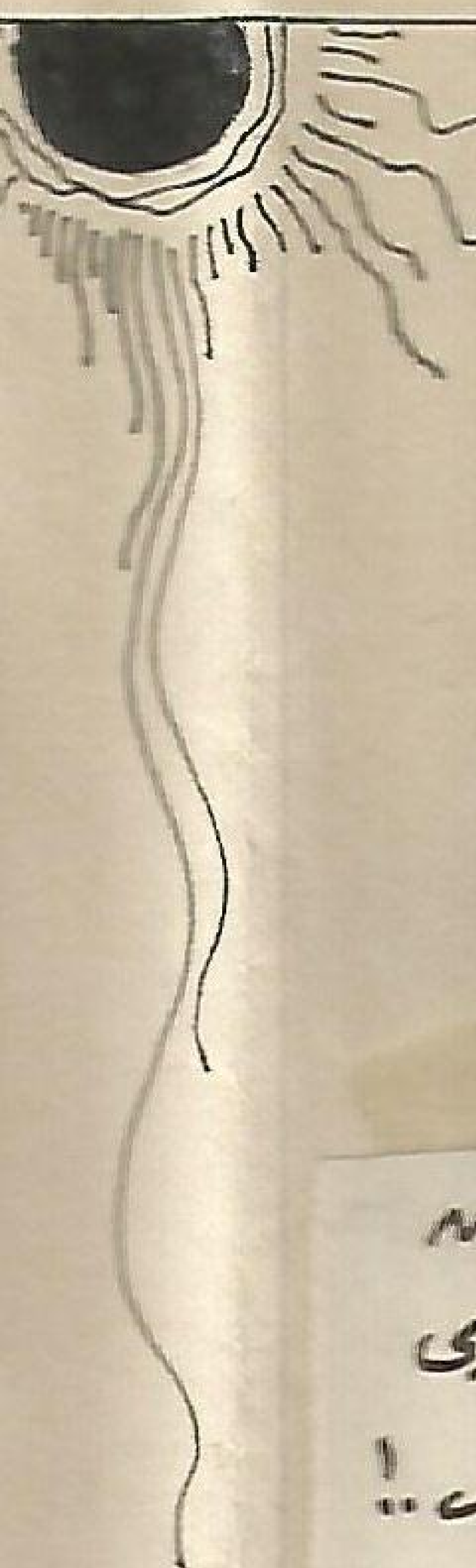

إبريم مازالت هناك على انتظار

٣

أبريم - ترقد تحت موج النهر من زمن
وتنتظر انفجار الغيب بالوعد الذي
عاشت له عبر المواسم والفصول ..!

...

كانت تودع كل حين طفلة أو أغنية
للبحر ترسلها وتحلم بالسفن الآتيات
من العصور الخافية
وتظل فوق شواطئ عمرها الأزلي
تنتظر الطيور النائية
ترنو إلى سحب الشمال القادمات
من الغياهب
يا جنون الانتظار ..!
وتسائل الرمل الذي يمتد عبر العمر
كالقدر المهول
عما ستكتشف الحقول
وما سيرسله المطر

وتسائل الأيام عما سوف تحمله
المراكب للذين تمزقوا
تحت الحصار..!

...

يا أيها الزمن اللعين - خذلتني
لم دون كل الخلق طفلي لا يعود؟
لم فجأة
وجميع أفراح القرى كانت به أبداً رهينه؟

....

أنا ما وثقت بوعد أولاد الزواني
لا .. ولا دانت قراي لجندهم عبر العصور
ما كان وال يستطيع خديعتي أبداً!
ولا كان الزمان بحلوه ومراره - يوماً
سيمس آهتي ...
لولا فراقك يا بني
فأنا وعدتك أنت بالحزن الخفي
وعدت قلبك بالهوى
وأنا إليك لجأت حين انتابني الخوف
وتخطفت أحلام طفلتنا طوابير الظلام
باركت خطوك للشمال
وقلت: هذا طائري
أرسلته للبحر كي يأتي إلينا
بجرائد الأطفال والخبز القصي

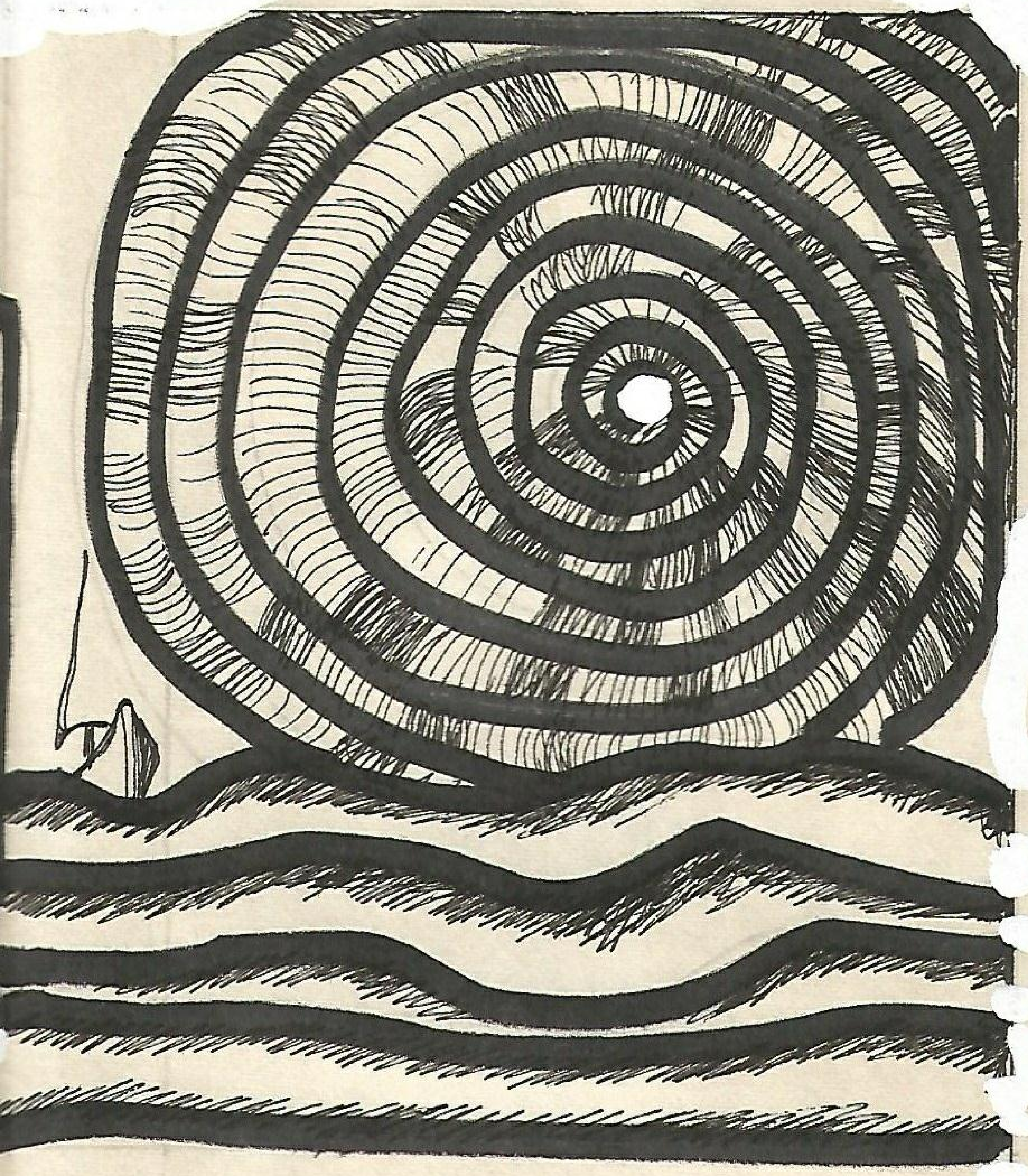

ووثقت أنك عائدٌ لابد

بالألق الذي يخفيه هذا الجدب عنّا

أرضعت أطفالي انتظاراً

وأغانيّ ومنّاً

فارجع إليّ فإن صبرك قاتلي

ما عاد يسعفني التأني

وأنا عجوز همّني الترحال من أرصفةٍ لأرصفة

أدمت كفوفي هذه الحقب البخيلة

وتكاثر الأعداء حول النخلة
التي ضفرت رغيفي ..
هذي أظافرهم على جلدي
وهذي نارهم في عقر داري
الموت حالفهم وخالفني وليفي ..
ومضيت أنت كبارقة الحلم الرهيف
أنت الذي حملت ضفافُ النهر جثته
ربيعاً في الخريف !!

صدر منها :

١- ● أحزان ناصرية بعد عام من الردة

٢- ● رسائل إلى ليلى العامرية .

٣- ● جريدة حائط مصرية بعد إغتيال كمال جنبلاط

٤- ● قصائد غير شخصية ..

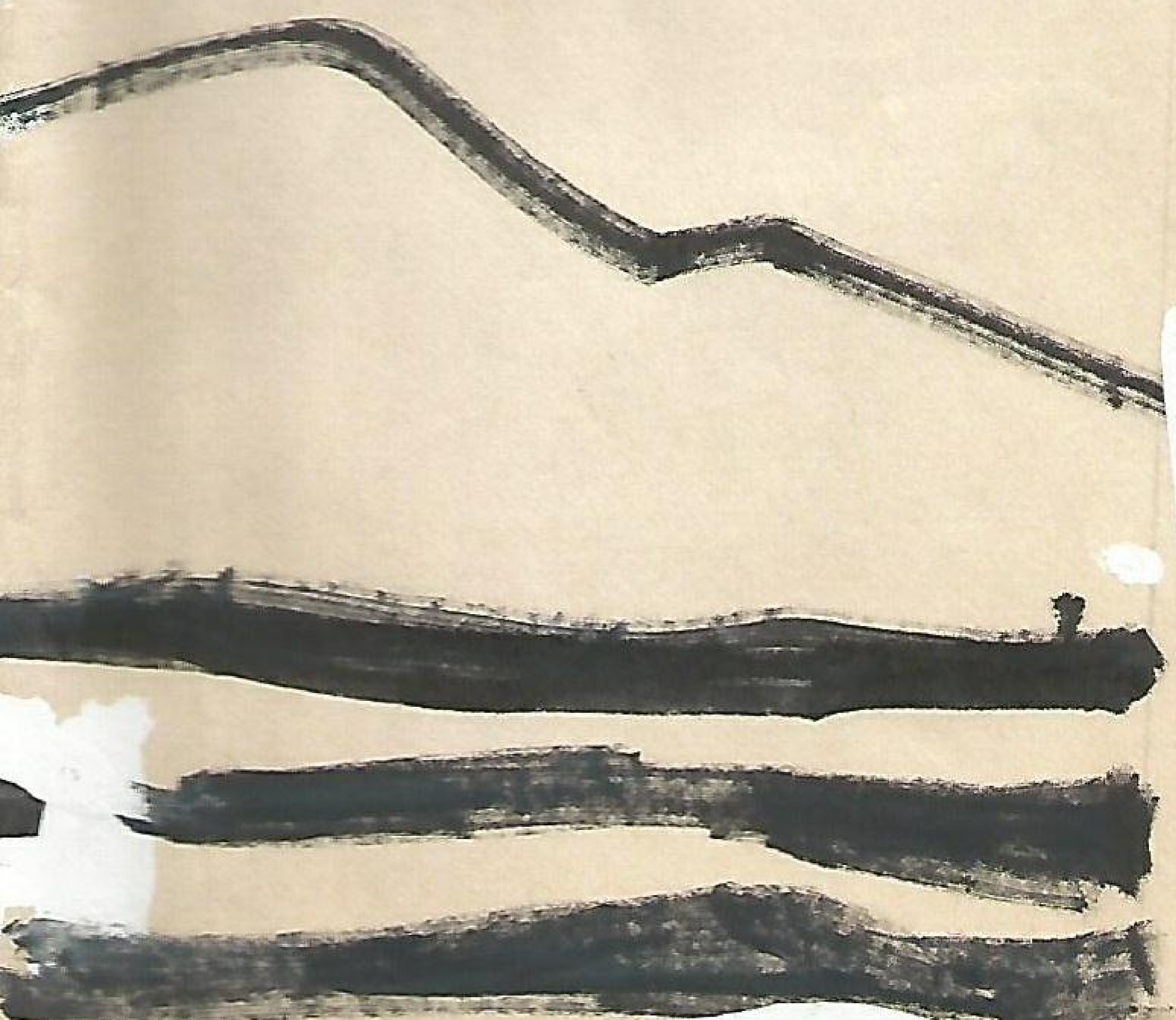

٥ - الشعر للجماهير - نشرة شعرية غير دورية يصدرها سمير عبد الباقي